

البعد الروحي للسياسة الروسية

The spiritual dimension of Russian policy

إلياس ميسوم^{1*}، خيرة بوسعادة²¹ جامعة وهران 2 محمد بن احمد، (الجزائر)، missoum.ilyes@univ-oran2.dz² جامعة وهران 2 محمد بن احمد، (الجزائر)، boussada.khaira@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026-02-07 تاريخ القبول: 2026-04-08 تاريخ النشر: 2026-04-27

الملخص باللغة العربية:

يمثل ضمان الأمن الروحي آلية أساسية لحماية خصوصية الفرد وصون تماسك المجتمع، إذ يتكوّن المجال الروحي للحياة الاجتماعية من منظومات مترابطة تشمل الأبعاد الأيديولوجية والتعليمية والثقافية. وانطلاقاً من ذلك، تسعى الدول إلى ترسيخ حالة من الأمن الروحي عبر تبني سياسات وإجراءات شاملة تستهدف تحقيق التنمية المستدامة للفرد والمجتمع والدولة، بما يكفل الحفاظ على الهوية الوطنية والثقافية لمواطنيها. وقد أسهم هذا التوجّه في إيلاء العديد من الدول أهمية متزايدة لمسألة أمن الدولة، ولا سيما في ما يتصل بضمان الأمن العام أثناء إدارة السياسات العمومية، وذلك في ظل ما يشهده الفضاء الدولي المعاصر من تهديدات متنامية تمسّ الأمن الروحي للمجتمعات، الأمر الذي يستدعي العمل على تهيئة بيئة روحية صحية ومتوازنة.

وفي هذا السياق، تسعى هذه الدراسة إلى تحليل العقيدة الروسية للأمن الروحي بوصفها مقاربة بديلة ومنافسة لمفهوم الأمن الشامل كما طُرِح في أدبيات الاتحاد الأوروبي، ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، وهيئة الأمم المتحدة، فضلاً عن التصورات المعتمدة في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية. كما تهدف الدراسة إلى تفكيك الكيفية التي جرى من خلالها توظيف القيم الروحية والأخلاقية ضمن استراتيجيات الأمن القومي

* المؤلف المرسل

الروسي خلال الفترة الممتدة من عام 2000 إلى عام 2021، مع الوقوف عند دلالات هذا التوظيف وانعكاساته على السلوك الخارجي لروسيا. وإلى جانب ذلك، تعمل الدراسة على توضيح وتحليل مفاهيم مركزية، من قبيل الروحانية، والرؤية الروحية للعالم، والأمن الروحي، باعتبارها مفاتيح تفسيرية لفهم البعد القيمي في المقاربة الروسية للأمن والسياسة الخارجية.

الكلمات المفتاحية: الأمن الروحي، الدبلوماسية الروحية، روسيا، الإسلام، الكنيسة الأرثوذكسية.

Abstract:

Ensuring spiritual security is a mechanism to protect the privacy of the individual and society, as the spiritual sphere of social life consists of ideological, educational and cultural components.

Therefore, every country seeks to maintain a state of spiritual security and take comprehensive measures for the sustainable development of the individual, society and the state in the process of ensuring the national and cultural identity of its citizens. This is what made many countries pay special attention to state security in ensuring public security while managing public policy, due to the presence of a threat to the spiritual security of the population in the modern international space, trying to create a healthy spiritual environment.

This intervention seeks to explain the Russian doctrine of spiritual security as a competitor to the concept of comprehensive security put forward by the European Union, the OSCE, the United Nations, and US foreign policy, as well as to analyze the ways in which spiritual and moral values have been used in Russia's national security strategies from The year 2000 to 2021, and the study also analyzes concepts such as spirituality, the spiritual view of the world, and spiritual security.

Keywords: spiritual security, spiritual diplomacy, Islam, the Orthodox Church.

مقدمة:

منذ العصور القديمة كانت روسيا، بفضل موقعها الجغرافي في القارة الأوراسية، ملتقى لعدد لا يحصى من الشعوب الذين ساهموا، بثقافتهم وحضاراتهم وأديانهم، في تعريفها كدولة متعددة الأعراق، فقد حاولت على مر القرون التعامل مع عدد لا يحصى من السكان والثقافات والجماعات العرقية والأديان، وتشجيع التعايش فيما بينهم في مثل هذه الإمبراطورية الشاسعة.

على هذا الأساس يشكّل البعد الروحي أحد المكونات غير المادية المؤثرة في توجيه السياسة الروسية، لا سيما تلك التي تستند في تصورهما للعالم إلى مرجعيات حضارية وثقافية متجذّرة في التاريخ. حيث، تبرز السياسة الروسية نموذجًا دالًا على تداخل الأبعاد الجيوسياسية مع المحددات الروحية والدينية، حيث لا يمكن فهم سلوك روسيا الداخلي والخارجي بمعزل عن الإرث الأرثوذكسي، والخصوصية الحضارية الروسية، والتصورات الفلسفية التي صاغت هوية الدولة والأمة عبر القرون.

لقد شهدت روسيا، منذ انهيار الاتحاد السوفياتي، عملية إعادة بناء لهويتها الاستراتيجية، تمثّلت في استعادة الرموز الروحية والدينية بوصفها أدوات فاعلة في صياغة الخطاب السياسي الخارجي، وفي تبرير توجهاتها على الساحة الدولية. وقد لعبت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية دورًا متناميًا في هذا السياق، سواء من خلال دعم مفهوم العالم الروسي (Russkiy Mir)، أو عبر إضفاء بعد أخلاقي وقبلي على السياسة الخارجية، يقوم على الدفاع عن القيم التقليدية ومواجهة ما يُنظر إليه كهيمنة ثقافية وأخلاقية غربية.

يكتسي هذا البعد الروحي أهمية خاصة في تفسير مواقف روسيا تجاه قضايا دولية وإقليمية متعددة، مثل علاقاتها مع الفضاء السوفياتي السابق، ومواقفها من النزاعات في الشرق الأوسط، فضلًا عن خطابها المناهض للعولمة الليبرالية ذات الطابع الغربي. فالبعد

الروحي لا يُوظَّف فقط كعنصر رمزي في الخطاب السياسي، بل يشكّل أداة من أدوات القوة الناعمة، تُستخدم لتعزيز النفوذ الروسي، وبناء تحالفات قائمة على التقارب القيمي والحضاري.

انطلاقاً من ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى تحليل البعد الروحي في السياسة الروسية، من خلال تتبع جذوره الفكرية والتاريخية، ورصد آليات توظيفه في الخطاب والممارسة الدبلوماسية، مع إبراز حدود هذا البعد وإشكالياته في ضوء تفاعلات النظام الدولي المعاصر. ويهدف هذا التحليل إلى الإسهام في فهم أعمق لسلوك روسيا الخارجي، عبر مقارنة تتجاوز التفسيرات الواقعية التقليدية، وتُبرز دور الأفكار والقيم والرموز الروحية في صياغة السياسات الدولية.

من ثم تهدف الدراسة إلى تقديم إجابات مفصلة على الأسئلة الأساسية التي وجهتنا وهي: ما هو دور الدين داخل الاتحاد الروسي؟ هل يمكن تحقيق دبلوماسية دينية روسية؟ وهل يؤثر الدين على السياسة الخارجية الروسية؟

تعتمد هذه الدراسة على منهج متعدد التخصصات التاريخ والعلوم السياسية حيث تتجاوز الخطوط التقليدية لمجالين فرعيين متميزين للعلوم السياسية وهما تحليل السياسات العامة والعلاقات الدولية وتتمثل المساهمة الرئيسية للفرع الأول في سماح الدولة بمراقبة العمل العام من الأسفل وبالتفصيل، بدلا من مراقبته بشكل عام من الأعلى بالإضافة إلى معالجة البعد فوق الوطني للسياسة الدينية، وهذا من شأنه أن يساعد في إعادة تقييم الدور الجوهري الذي يلعبه الدين كمؤثر ليس فقط على السياسة المحلية، بل أيضا على أنه يتم استغلاله لخدمة السياسة الخارجية للنظام السياسي.

المحور الأول: السمات الجديدة للسياسة الخارجية الروسية

يرتبط السلوك الخارجي لروسيا بجملة من الخصائص التي أصبحت تشكل الركيزة الأساسية لتفاعلاته على الصعيد الخارجي عامة والجمهوريات السوفيتية التابعة له سابقا على وجه الخصوص والتي تتجلى ملامحها في النقاط التالية :

أولاً: سياسة خارجية واقعية

تعي القيادة الروسية بزعامة "بوتين"، أن الجانب الإيديولوجي لم يعد له وقع في العلاقات الدولية بعد الحرب الباردة وهو ما يحتم عليها انتهاج سياسة برغماتية نفعية جعلتها تنسج علاقات عسكرية وتجارية مع دول كانت في الماضي معادية لها ومنها بعض الدول الإسلامية مثل العربية السعودية ودول الخليج العربي حيث أبرمت مع هذه الأخيرة صفقات عسكرية، كان الهدف منها الانفتاح وتحقيق الأرباح، فعلى سبيل المثال شكّل اصطفااف أوكرانيا مع الغرب واندماجها في حلف شمال الأطلسي (الناتو) تهديدا وجوديا للقوة الروسية، وهو تهديد لم تستطع روسيا قبوله، حيث يجادل الواقعيون بأن عضوية أوكرانيا في حلف شمال الأطلسي قد تُمكن من نشر أسلحة هجومية قرب حدود روسيا، وتهدد وصولها إلى البحر الأسود، بالإضافة إلى ذلك يُحذّر جوهر النظرية الواقعية من البنية الأساسية للنظام الفوضوي، ما يعني أن الدول لا يمكنها الشعور بالأمان حيال نوايا أو أفعال الدول ولذلك عندما تُعزز دولة ما أمنها، فإنها تُقوّض أمن دولة أخرى ووفقاً لميرشايمر، "بما أنه لا يمكن لأي دولة أن تتأكد أبداً من أن الدول الأخرى لن تستخدم قدراتها الهجومية لأغراض عدوانية، فإن كل دولة مُجبرة على البحث عن سبل لضمان بقائها"¹، ومن هذا المنظور، يمكن تبرير غزو روسيا كخطوة استباقية لتحديد ما اعتبرته تهديدا استراتيجيا وشيكاً.

تتمثل الحجة الواقعية في أن جميع القوى العظمى في التاريخ، بما في ذلك روسيا، سعت إلى السيطرة على ديناميكيات الأمن في مناطقها المباشرة من خلال الحفاظ على علاقات مع دول مجاورة أصغر تتوافق مع مصالحها، وتُعتبر أوكرانيا، بموقعها الجيوستراتيجي بين روسيا وأوروبا، منطقة حيوية ضمن نطاق النفوذ الروسي وبذلك يجادل الواقعيون بأنه بدلاً من توسيع الديمقراطية الليبرالية الغربية، كان الدافع

¹ John Mearsheimer, "Why the Ukraine Crisis Is the West's Fault: The Liberal Delusions That Provoked Putin." *Foreign Affairs* 93, no. 5, 2014: p77.

الرئيسي لروسيا للغزو هو إعادة إرساء توازن قوى ملائم، وترتيبات أمنية، ودول عازلة مرنة على أطرافها.¹

يُمكن استنتاج أن غزو بوتين لروسيا لأوكرانيا يعكس إستراتيجية مدروسة قائمة على الواقعية الهجومية - جهود دؤوبة وانتهازية لتعزيز قوتها اقتصاديا وعسكريا لترسيخ هيمنتها الإقليمية، ومن هذا المنطلق، سعى بوتين إلى استغلال ضعف الغرب لإعادة رسم الحدود ومجالات النفوذ في أوروبا، فبوتين يريد إعادة بناء مجال النفوذ روسي في أوروبا الشرقية، أي جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة، مثل استونيا ولاتفيا وليتوانيا وبيلاروسيا وجورجيا وأوكراني

أما فيما يتعلق بتفسير الواقعية الهجومية، يفسر بعض الواقعيين غزو روسيا كمراجعة للنظام الدولي الليبرالي الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة والذي نشأ بعد الحرب الباردة)، فلعقود من الزمن، اشتكت روسيا من التطويق من قبل حلف شمال الأطلسي (الناتو) و هو ما اعتبرته عدم احترام وتجاهل لمصالحها فيما يتعلق بأوكرانيا ومجال نفوذها و تتمثل النظرة الواقعية في أنه حتى بعد زوال الاتحاد السوفيتي، استمرت الولايات المتحدة وحلفاؤها في التوسع بطرق تهدد المصالح الأساسية لروسيا وتركبتها تشعر بأنها محاصرة بسبب الزحف المستمر شرقاً لحلف شمال الأطلسي²

وبالتالي من هذا المنظور، قررت روسيا في النهاية أنها بحاجة إلى زعزعة النظام الليبرالي واستخدام القوة لإعادة تأسيس نفسها كقوة عظمى قادرة على ممارسة النفوذ على محيطها، لا تنوي روسيا في عهد بوتين الانضمام إلى نظام عالمي ليبرالي تديره الولايات

¹ Dmitri Trenin. "Why Realpolitik Still Shapes Russia's Geopolitics." *Carnegie Moscow Center*, February 28, 2022.at: <https://carnegiemoscow.org/commentary/86588>

² Mikhail Suslov. "'Russian World' Concept: Post-Soviet Geopolitical Ideology and the Logic of 'Spheres of Influence'." *Geopolitics* 23, no. 2. 2018, p 336. at: <https://doi.org/10.1080/14650045.2017.1407921>

المتحدة، بل تسعى إلى عالم متعدد الأقطاب ، وتتجلى لنا هذه الواقعية من خلال تحديد أربع ضرورات لتشكيل السياسة الخارجية الروسية تمثلت في :¹

- حتمية الموارد: تفتقر روسيا إلى الموارد اللازمة للاضطلاع بدورها العالمي التقليدي، في حين أصبحت أدواتها العالمية المتبقية، مثل الأسلحة النووية ومقعدها في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، غير كافية على نحو متزايد.
- الحتمية المحلية: وتلعب ضرورة الإصلاح الداخلي دورا رئيسيا في صياغة السياسة الخارجية، في السابق، كان المنطق الجيوسياسي يهيمن على السياسة الداخلية، وكان يملئ تعبئة الموارد المحلية، كما كانت روسيا دولة معنية بمهمتها الخارجية، أما اليوم فقد أصبح الأمر على العكس من ذلك، إذ يُنظر إلى السياسة الخارجية باعتبارها وسيلة لخدمة أجندة الإصلاح الداخلي.
- الحتمية الاقتصادية: تندمج روسيا تدريجيا في الأسواق العالمية على مستوى الدولة والنخب الاقتصادية والطبقة الوسطى.
- الضرورة المؤسسية: لقد اضطرت روسيا على نحو متزايد إلى صياغة سياستها الخارجية في إطار المؤسسات الدولية، مثل منظمة حلف شمال الأطلسي، والاتحاد الأوروبي، ومجلس أوروبا، أو منظمة التجارة العالمية.

مما سبق ، نعتقد أن روسيا وضعت سياستها الخارجية على أسس أكثر واقعية، وقامت بترتيبها وفقا للاحتياجات الداخلية، وخاصة الأهداف الاقتصادية وبوتين زعيم عملي براغماتي يدعو إلى التعاون مع الغرب. لكنه يرى أن على روسيا أن تضرب موقفها في نقاط لا تتطابق فيها المصالح الوطنية مع المواقف السياسية للغرب. فعلى سبيل المثال، تم التخلي عن محادثات تشيرنوميردين-جور Chernomyrdin-Gor في عام 1995، والتي أدت إلى تعليق التجارة العسكرية مع إيران بسبب توقع الحصول على قروض ضخمة

¹ Sergei Medvedev, Rethinking the National Interest: Putin's Turn in Russian Foreign Policy, August 2004, at: marshallcenter.org/en/publications/marshall-center-papers/rethinking-national-interest-putins-turn-russian-foreign-policy/rethinking-national-interest-putins-turn-russian

من الغرب، ومن بين المناطق ذات الأولوية، يأتي كومنولث الدول المستقلة في المرتبة الأولى، حيث تقع الجمهوريات السوفيتية القديمة البالغ عددها 11، وقد جرت محاولة سياسات جديدة وأكثر نشاطا في آسيا الوسطى والقوقاز والشرق الأوسط ومنطقة البلقان.¹

ثانيا :. استعادة الدور الريادي

تسعى روسيا إلى استعادة بريق تاريخها المجيد من خلال انخراطها في العديد من القضايا الدولية مرتكزة على قوتها العسكرية ، هذا فضلا عن حمايتها لمصالحها في الشرق الأوسط والذي كان جليا من خلال حمايتها للنظام السوري ، أو ضمها لإقليم القرم، وهذا يعني أن الإدارة الروسية تسعى إلى تحقيق مصالحها سواء كان ذلك بطرق شرعية أو غير شرعية ، ففي كتابها "عالم بوتين: روسيا ضد الغرب ومع الباقي" Putin's World: Russia Against the West and with the Rest، "، طرحت "أنجيلا ستينت" Angela Stent، الخبرة في شؤون روسيا فكرتين رئيسيتين: أن الغرب لعب دورا رئيسيا في السماح بصعود روسيا، وأن الغرب قد لا يكون مستعدا للتعامل مع قنوات بوتين وطموحاته لمستقبل روسيا.²

وتعتقد العديد من الدول أنها حضارة استثنائية، بما في ذلك الولايات المتحدة، فريدة من نوعها، وأنها حضارة لا تؤمن بالضرورة بالفردية، بل هي أكثر جماعية، وأنها متفوقة على الغرب في كثير من النواحي، واليوم يتحدث بوتين عن حقيقة أن روسيا هي الوريث الحقيقي للمسيحية كما كانت، وليس ما يسميه مسيحية الغرب الشيطانية المنحطة.³

¹ Cherniavsky S, The Caucasus Vector of Russian Diplomacy. **Central Asia and the Caucasus: Journal of Social and Political Studies**, No. 5,2000, p 94.

² Facon Isabelle, La politique extérieure de la Russie de Poutine Acquis, Difficultés et Contraintes, **Annuaire Français de Relations Internationales**, N04

³ Putin's Plan To Restore Russia: The Disruptive Power Of Moscow, February 25, 2019, at: <https://www.wbur.org/onpoint/2019/02/25/putins-plan-to-restore-russia-the-disruptive-power-of-moscow>

يسعى صناع القرار في روسيا على التأكيد على مكانتها كواحدة من القوى العالمية الرائدة التي يجب احترام سيادتها وسياساتها الخارجية المستقلة، لأن فكرة الاعتراف بروسيا كقوة عظمى هي المعيار الرئيسي الذي دفع موقف موسكو على المسرح العالمي لعدة قرون، لقد ادعت باستمرار أن لها دورا في جميع القضايا الإستراتيجية الدولية الكبرى ولم تقبل أبدا تقييد سلطتها على المسائل الإقليمية، ويرجع ذلك إلى عدد من العوامل، بما في ذلك هوية روسيا الأرثوذكسية، وموقعها بين أوروبا وآسيا، وضخامة أراضيها.

ثالثا : المنافسة الاقتصادية

أرست روسيا أهدافا جديدة ، تقوم أساسا على المنافسة الاقتصادية متيقنة أن عصر المنافسة الجيو سياسية قد ولى وحل محله التنافس الجيو اقتصادي وذلك قصد استعادة قوتها الاقتصادية واطعة بذلك الاقتصاد فوق كل اعتبار ، لقد أضحت السياسة الخارجية في خدمة المصالح الاقتصادية .

وتركز نظرية العلاقات الدولية الليبرالية بشكل أساسي على اكتشاف الإنسانية داخل الفرد من خلال الدين، حيث يصبح الناس أكثر ودية وانفتاحا وتسامحا تجاه الآخرين، فقد أصبح من الواضح أنه لا المعارك حول القدرات العسكرية، فضلا عن الصفقات الاقتصادية، غدت قادرة على حل الصراعات الدولية ، فالتركيز بشكل أساسي على نظرية العلاقات الدولية الليبرالية، حيث أن هذه النظرية لديها أوجه تشابه أكبر مع المبادئ الدينية الرئيسية مثل التنمية الذاتية، والإيمان بطبيعة الإنسان الفاضلة وكذلك أفكار السلام ، ومن المهم أن نفهم عند الحديث عن العلاقات الدولية أن أحد اهتماماتها الرئيسية تكمن في المصالح الوطنية للدول وكذلك تنظيم وتوازن القوى بين القوى العظمى، وتذهب نظرية العلاقات الدولية الليبرالية إلى أبعد من ذلك لأنها لا تؤكد فقط على أهمية العلاقات الاقتصادية وعمل المنظمات غير الحكومية، ولكن أيضا على أنه يجب على الفرد، إلى حد ما، قبول فكرة أن المستويات الدولية ومستويات الدولة تتأثر

بشدة بالمستويات الوطنية والشخصية، و تقبل النظرية بفكرة ضرورة التطوير الذاتي، بما في ذلك التعليم والنمو الروحي للفرد.¹

رابعاً: البعد الروحي

يرتكز البُعد الروحي لسياسات فلاديمير بوتين على تعزيز الكنيسة الأرثوذكسية الروسية كركيزة للهوية الوطنية، والأخلاق المحافظة، والاستقرار السياسي، ممزوجاً بين القومية والقيم الأرثوذكسية، مع احتضان الديانات التقليدية الأخرى كالإسلام والبوذية واليهودية كجزء من الوحدة الروسية، وفيما يلي أبرز جوانب البُعد الديني لسياسة بوتين:

أ. التحالف مع الكنيسة الأرثوذكسية: يحافظ بوتين على علاقات وثيقة مع رئيس الكنيسة الأرثوذكسية الروسية (البطريرك كيريل) ويحرص على حضور الصلوات الرئيسية بانتظام، مما يرسخ مكانة الكنيسة كشريك استراتيجي للدولة

أصبح مفهوم الأمن الروحي حاضراً في الخطاب الرسمي للكرملين والكنيسة الأرثوذكسية الروسية منذ عام 2000، وقد ظهر هذا المفهوم كرد فعل عن سياسة الاتحاد الأوروبي ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا **the Organization for Security and Co-operation (OSCE)** استخدامهما "حرية الدين أو المعتقد" كجزء من إستراتيجيتهم الأمنية الشاملة ، ويساعد مفهوم "الأمن الشامل" ، الذي طورته منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، على كسر أي انقسام بين الأمن وحرية الدين أو المعتقد ، بحيث ينطوي الأمن الشامل على دمج، وليس موازنة، ثلاثة أبعاد مترابطة للأمن: السياسي العسكري، والاقتصادي البيئي، والإنساني وفقاً لتوجهات السياسات لعام 2019 الصادرة عن مكتب المؤسسات الديمقراطية وحقوق الإنسان التابع لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا (ODIHR)، "يُفهم الأمن على أنه شامل وتعاوني ومتساوي وغير قابل للتجزئة ومرتكز على حقوق الإنسان".

¹ Tsygankov P, Mezhdunarodnye Otnoshenija: Teorii, Konflikty, Dvizhenija, Organizacii, Moscow Editors P. Tsygankov, G. Drobot, M. Lebedeva ,2008, p22.

اعتمدت الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي ميثاق الاتحاد الأوروبي للحقوق الأساسية (FoRB) religion or belief freedom of (عام 2000 ، والذي كرست المادة 10 منه "الحق في حرية الفكر والدين"، مؤكدة بذلك حرية الدين أو المعتقد كحق أساسي من حقوق الإنسان كما نصت عليه الوثائق السابقة، وخاصة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان، والوثيقة التأسيسية لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، وثيقة هلسنكي النهائية (هذا فضلاً عن إنشاء منظمة الأمن والتعاون في أوروبا فريقاً من الخبراء الاستشاريين المعني بحرية الدين أو المعتقد وأعادت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة تسمية قسمها المتعلق بالتعصب الديني إلى "المقرر الخاص المعني بحرية الدين أو المعتقد"، وفي عام 1998، اعتمدت حكومة الولايات المتحدة قانون الحرية الدينية الدولية (Ventura Citation2020) وأنشأت لجنة الولايات المتحدة للحرية الدينية الدولية، مما يعني أن كل هذه التطورات التي حدثت حوالي عام 2000 سواء على مستوى الاتحاد الأوروبي، والأمم المتحدة، ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، والسياسة الخارجية للولايات المتحدة إلى الاهتمام السياسي المتزايد بقضايا الحرية الدينية في سياق الأمن العالمي.¹

وبذلك جاء مفهوم "الأمن الروحي" الروسي كمنافس لمفهوم الأمن الشامل الذي تبنته أوروبا والولايات المتحدة والمنظمات الدولية. و"الأمن الروحي" ليس مصطلحاً قانونياً روسيا، بل مفهوم يصف عقيدة قانونية وسياسية روسية تربط بأمن واستقرار الدولة والمجتمع الروسي وذلك من خلال دعم القيم الدينية والثقافية والأخلاقية، ويعني ذلك ضمناً أن هذه القيم مهددة من الخارج (الغرب، والجماعات الدينية، والإنترنت ، والليبرالية، والمنظمات غير الحكومية الأجنبية، وما إلى ذلك).² وهو استخدام العامل الديني في السياسة الخارجية؛ وهذا يعني النطاق الكامل لآليات تعاون الدولة مع

¹ Kristina Stoecki, Russia's Spiritual Security Doctrine as a Challenge to European Comprehensive Security Approaches, Published online: 13 Dec 2022 at: <https://doi.org/10.1080/15570274.2022.2139536>,p38

² Ibid, p37.

الجمعيات الدينية في السعي لتحقيق مصلحة وطنية محددة عمليا، واستخدام النشاط الدولي للمؤسسات الدينية، والأفكار والرموز الدينية.

وبدأ يظهر مفهوم الأمن الروحي مع تدشين في مارس 2002 كنيسة أرثوذكسية على أرض المقر الرئيسي لوكالة الأمن الفيدرالية (FSB) في لوبيانكا، الخليفة الرئيسي لجهاز الكي جي بي في روسيا، حيث أُقيم احتفال فريد في وسط موسكو وأتاحت هذه المناسبة فرصة مثالية لتنظيم حفل الغفران والمصالحة في العلاقات بين أجهزة الأمن الروسية والكنيسة، وركز الحفل على الحاجة إلى عمل منسق يهدف إلى مكافحة التهديدات الحالية لـ "الأمن الروحي" لروسيا، على حد تعبير البطريرك "ألكسي الثاني" Aleksii II الذي استخدم عبارة "الأمن الروحي"، متماشيا بذلك مع اتجاه معين لروح العصر الروسي، فأضحى الأمن الروحي مفهوما على جدول الأعمال العام في روسيا المعاصرة، ويتم استحضاره بشكل متزايد من قبل مجموعة من الجهات السياسية الفاعلة في جملة من السياقات.¹

وغالبا ما تشير بطريركية موسكو للكنيسة الأرثوذكسية الروسية إلى هذا المفهوم، كما أقامت كلية الحقوق في الجامعة الأرثوذكسية الروسية دورة تدريبية حول "الأمن الروحي" وتم تخصيص تمويل الدولة للبحوث ذات الصلة، وكان كذلك موضوع مناقشات سياسة المناهج المدرسية ومن المفارقات أن الحزب الشيوعي تبني أيضا فكرة الأمن الروحي كجزء من ترسانته الإيديولوجية، ففي شهر جوان عام 2003 أسهمت مبادرة الحزب الشيوعي إلى عقد جلسات استماع برلمانية روسية حول الأمن الروحي.

المحور الثاني: البعد الروحي في الإستراتيجية الأمنية الروسية

يظهر الدين في ثلاث وثائق تحدد السياسة الخارجية للاتحاد الروسي: "مفهوم السياسة الخارجية للاتحاد الروسي" لعام 2008، و"إستراتيجية الأمن القومي للاتحاد

¹ Julie Elkner, Spiritual security in Putin's Russia, **History and Policy**, 01 January 2005, at: <https://www.historyandpolicy.org/policy-papers/papers/spiritual-security-in-putins-russia>

الروسي حتى عام 2020" و"العقيدة العسكرية للاتحاد الروسي" (2010) وفي هذه الوثائق، يظهر الدين كعنصر من عناصر الثقافة وسمّة مميزة للحضارة ومعيّار لتمييز الحضارات والأهم من ذلك، أنه من أجل تحديد هويتها وموقعها ودورها على الساحة الدولية، تطبق روسيا "النموذج الحضاري" أيضًا فيما يتعلق بنفسها. على الرغم من أن فكرة "الحضارة الروسية" لا تظهر في الوثائق المذكورة أعلاه، إلا أنه تم التأكيد مرارًا وتكرارًا على أن روسيا دولة متميزة. لقد طورت حضارة فريدة من نوعها مع "مساحة اللغة والثقافة الروسية" الخاصة بها - ما يسمى بـ *ruskiy mir* (العالم الروسي) علاوة على ذلك، أصبحت اللغة الروسية «جزءًا لا يتجزأ من الثقافة العالمية وأداة للتواصل بين الأعراق ومن الجدير بالذكر أن هوية روسيا الجديدة وصورتها الدولية تظهر في الوثائق المتعلقة بحوار الحضارات: "باعتبارها أكبر دولة أوروبية ذات مجتمع متعدد القوميات والطوائف وتاريخ يمتد لقرون عديدة، فإن روسيا تقف على أهبة الاستعداد للعب دور دور بناء في ضمان الانسجام الحضاري لأوروبا والاندماج المتناغم للأقليات الدينية".¹ وتشكل القيم الروحية والأخلاقية جزءًا لا يتجزأ من الإستراتيجية الأمنية للدولة الروسية، وتتجلى من خلال:

أولاً: وثائق الأمن القومي الروسي

لقد قدم مفهوم الأمن القومي لعام 2000، الذي أعدته الإدارة الرئاسية الأولى لفلاديمير بوتين، العلاقة بين الأمن القومي والقيم الروحية والأخلاقية لأول مرة ويشمل ضمان الأمن القومي للاتحاد الروسي حماية التراث الثقافي والروحي والأخلاقي والتقاليد التاريخية ومعايير الحياة العامة والحفاظ على التراث الثقافي لجميع شعوب روسيا، يجب أن تكون هناك سياسة حكومية لحماية الرفاهية الروحية والأخلاقية للسكان، وحظر استخدام البث الإذاعي للترويج للعنف ومواجهة التأثير السلبي للمنظمات الدينية الأجنبية والمبشرين ولقد حظي مفهوم الأمن القومي الروسي منذ عام 2000 بالاهتمام بسبب تأكيده غير المعتاد على الحاجة إلى "التجديد الروحي"، ووفقًا لهذه الوثيقة، واجهت

¹ . Alicja Curanović, Russia's Religious Diplomacy, **Russia/NIS Center**, Paris 12 July 2008, P05.

روسيا تهديدا مزدوجا: داخليا من خلال "تقليل قيمة القيم الروحية" التي "تعزز التوتر في العلاقات بين المناطق والمركز"، وخارجيا من خلال "التوسع الثقافي والديني إلى أراضي روسيا من قبل دول أخرى"، وللقضاء على هذه المخاطر التي تهدد الأمن القومي، دعا مجلس الأمن القومي، إلى "حماية التراث الثقافي والروحي والأخلاقي...". تشكيل سياسة الحكومة في مجال التربية الروحية والأخلاقية للسكان. . . . مواجهة التأثير السلبي للمنظمات الدينية الأجنبية والمبشرين"¹

وللأمن الروحي دلالة خارجية تتعلق بدور الكنيسة الأرثوذكسية الروسية Russian Orthodox Church (ROC) في الخارج، فقد صرح رئيس الوزراء بوتين في عام 2009، دافعت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية عن الهوية الوطنية والروحية للروس"، ويتحقق هذا التعاون بالمثل عن طريق الشراكة في الخارج مع وزارة الخارجية الروسية، وتعزيز "الهوية الروسية"، و"التعاون لحماية الأمن الروحي للشعوب الروسية من الديانات غير الأرثوذكسية، وخاصة من انتشار العلمانية". وقد سمح "ميدفيديف" لإدارته بتنمية هذه الشراكة الحصرية في المؤتمر العالمي الثالث للمواطنين الذين يعيشون في الخارج وفي تناوله مهمة دعم الروس في الخارج قال: "لا أستطيع إلا أن أذكر دور الكنيسة الأرثوذكسية الروسية وطوائفنا التقليدية الأخرى في إحياء الوحدة الروحية لمواطني روسيا وتعزيز روابطهم الإنسانية والثقافية مع الوطن التاريخي. ومن المؤكد أننا سنواصل الاتصالات بين الدولة والطوائف المعنية".²

لقد تمت الموافقة في مايو 2009 على إستراتيجية الأمن القومي للاتحاد الروسي، والتي كان من المفترض أن تكون نشطة حتى عام 2020، ومع ذلك، فإن هذه الإستراتيجية لم تستمر حتى عام 2020 - ففي أواخر عام 2015، تم استبدالها بإستراتيجية أمنية

¹Robert C. Blitt, Russia's "Orthodox" Foreign Policy: The Growing Influence Of The Russian Orthodox Church In Shaping Russia's Policies Abroad, at: <https://www.law.upenn.edu/live/files/142-blittboyd33upajintl3632011pdf>, P368.

² Robert C. Blitt, One New PR One New President, One New President, One New Patriarch, And A Generous Disregard for the Constitution, **Vanderbilt Law Review**, Volume 43, 2010, Pp1341- 1342.

وطنية جديدة طورتها روسيا بعد ضم شبه جزيرة القرم والعدوان المسلح في شرق أوكرانيا. خلقت هذه الأحداث واقعا جديدا أدى إلى توتر العلاقات بين روسيا والغرب، وهو ما انعكس في النهاية في اللهجة الصارمة تجاه الغرب في إستراتيجية الأمن القومي لعام 2015

ونجد أنه وفي جميع وثائق اللاحقة لمفهوم الأمن القومي للاتحاد الروسي في الأعوام 2009، و2015، و2021. ذكرت "القيم الروحية الأخلاقية" باعتبارها جزءا لا يتجزأ من إستراتيجية الأمن القومي لروسيا، حيث جاء في وثيقة عام 2015 "أن إحياء القيم الروحية والأخلاقية هو أحد أهداف إستراتيجية الأمن القومي الروسية" حيث أن إحياء القيم الروحية والأخلاقية التقليدية من شأنه إثارة موقف إيجابي لدى جيل الشباب تجاه تاريخ روسيا من جهة و توحيد المجتمع المدني حول القيم المشتركة التي تشكل أساس الدولة، مثل الحرية والاستقلال لروسيا، والإنسانية، والسلام والوثام الدوليين، ووحدة الثقافات لشعب الاتحاد الروسي متعدد الجنسيات، واحترام التقاليد العائلية والطائفية والوطنية من جهة أخرى.¹

و إذا قمنا بتحليل الطرق التي تم بها استخدام القيم الروحية والأخلاقية في استراتيجيات الأمن القومي لروسيا من عام 2000 إلى عام 2015، للاحظنا توسعا في معنى الأمن الروحي: ما كان المقصود منه في الأصل أن يكون مفهوماً ضد الحرية الدينية غير المحدودة أصبح يشمل جميع أنواع الحرية الدينية: تعزيز التركيبة السكانية من خلال تعزيز القيم العائلية التقليدية، ومكافحة التطرف، وتعزيز العلاقات العرقية المتناغمة داخل روسيا، وتحديد المبادئ التوجيهية الأخلاقية للسياسة الخارجية الروسية، ومكافحة "العملاء الأجانب" على مستوى المجتمع المدني ووسائل الإعلام.

أما في إستراتيجية الأمن القومي لعام 2021 فقد احتلت "القيم الروحية والأخلاقية التقليدية" دورا أكثر بروزا، حيث وردت كلمة "روحية" 24 مرة في الوثيقة بأكملها، وفي تلك الوثيقة، تم تحديد الولايات المتحدة وحلفائها بوضوح على أنهم مصدر الهجمات على القيم الروسية، إلى جانب الشركات عبر الوطنية والمنظمات غير الحكومية والمنظمات

¹ Kristina Stoecki, *Op. Cit*, p39.

الدينية والإرهابية والمتطرفة وتم إلقاء اللوم على هؤلاء نتيجة "التحولات النفسية المعلوماتية" و"تغريب" الثقافة مما قد يؤدي إلى فقدان "السيادة الثقافية" لروسيا.¹

ثانيا: الوثيقة الإستراتيجية الجديدة للسياسة الخارجية الروسية

وقّع الرئيس فلاديمير بوتين، 31 مارس 2023، وثيقة، بشأن الموافقة على المفهوم الجديد للسياسة الخارجية للاتحاد الروسي، وتُعدُّ هذه النسخة الـ 5 من الوثيقة، التي اعتمدها الاتحاد الروسي، والـ 4 تحت حكم "بوتين"، وتمَّ اعتماد النسخ السابقة، في (1993، و 2000، و 2008، و 2013، و 2016) والتي تحدد رؤيتها الرسمية للعالم، ومصالحها وأهدافها الرئيسية.

في بداية الوثيقة، تكرر موسكو نفسها كـ"قوة حضارية" في المشهد العالمي، مع المهمة، بل والرسالة التاريخية الفريدة، المتمثلة في تشكيل نظام العلاقات بين مختلف الدول إلى حد "ضمان التنمية السلمية التقدمية للبشرية على أساس أجندة توحيدية وبناءة".

إن هذه الكلمات وحدها كافية لإثبات الاعتبار الذي تكنه روسيا لنفسها، وهو التصور الذي يشوه معنى تحركاتها، بما في ذلك غزو أوكرانيا، والذي لم يصبح في هذه الرواية أكثر من أحد الأسعار التي يتعين دفعها للوصول إلى السلام في النظام العالمي. العدو الغربي

ولكن روسيا لا تستطيع تعريف نفسها إلا من خلال المعارضة، إلا من خلال تأكيد نقيضها، والتلميح بشكل مستمر إلى عدوها اللدود، والذي يتجسد، كما هو واضح، في التحالف الأوروبي الأطلسي. وتتضمن الوثيقة إشارات مستمرة إلى الدول الغربية، وكأنها لا تستطيع الوجود إلا بوضع نفسها كبديل لنظام يوصف بالفساد والموت بالرأسمالية وتدهور القيم والأخلاق. ومن بين أهداف السياسة الخارجية، في الواقع، يبرز "تعزيز الجهود الدولية لضمان احترام وحماية القيم الروحية والأخلاقية العالمية والتقليدية (بما في ذلك المعايير الأخلاقية المشتركة بين جميع أديان العالم) ومقاومة محاولات فرض الرؤى

¹ Kristina Stoecki, Op. Cit, p39.

شبه الإنسانية أو غيرها من الرؤى الإيديولوجية النيوليبرالية، التي تؤدي إلى فقدان البشرية للقيم الروحية والأخلاقية التقليدية والنزاهة".¹

ثالثاً : دستور 2020

جاء التعديل الدستوري لعام 2020 لينبئ بتداعيات هامة على السياسة الخارجية للمكرملين، ففي يناير 2020، فاجأ الرئيس بوتين الروس والعالم باقتراحه مجموعة شاملة من الإصلاحات الدستورية ورغم التركيز الواضح على السياسة الداخلية ودولة الرفاه، إلا أن الدفع نحو هذه التعديلات دلّ على انشغال واضح بمكانة روسيا الدولي، فقد بدأت إصلاحات بوتين المقترحة بالتأكيد على أن "سيادة أمتنا يجب أن تكون غير مشروطة، فقد عادت روسيا إلى الساحة الدولية كدولة لا يمكن تجاهل رأيها"²، وانطلاقاً من هذا التوجه المنفتح على الخارج، سعت التعديلات الأولى التي اقترحها بوتين إلى الحد من التأثير المحلي لأي قرارات تتخذها الهيئات الدولية بشأن التزامات روسيا الدولية.

. علمانية الدولة الروسية: في 14 مارس 2020، أُجريت بعض التعديلات على نص دستور الاتحاد الروسي الصادر في 12 ديسمبر 1993، إلا أنه أبقى على الجزء الأول المخصص لحقوق المواطنين. وتحديداً، الفقرة 1 من المادة 14 التي تعلن عن علمانية الدولة، و تنص على أنه "لا يجوز اعتبار أي دين ديناً للدولة أو ديناً إلزامياً"، كما تنص الفقرة 2 من المادة نفسها على أن "الجمعيات الدينية منفصلة عن الدولة ومتساوية أمام القانون".

بموجب مبدأ العلمانية، يضع المشرع نفسه في موقف محايد، مُعلنًا عدم أهليته لاتخاذ موقف مؤيد أو معارض لدين معين، في حين تُرسي الفقرة الثانية من المادة، المتعلقة بالجمعيات الدينية، مبدأ المساواة أمام القانون بين مختلف الكنائس والمذاهب،

¹ Carolina Apicella, Un nuovo, ma vecchissimo, concetto di politica estera, 17 Maggio 2023. at : <https://www.osservatoriorussia.com/2023/05/17/un-nuovo-ma-vecchissimo-concetto-di-politica-estera/>

² Presidential Address to the Federal Assembly, KREMLIN.RU, Jan. 15, 2020, at: <http://en.kremlin.ru/events/president/news/62582>

بافتراض أن الدولة تلتزم الحياد في معاملة مختلف الأديان، دون منح أي امتيازات أو اعتراف خاص بها، وهكذا، أكدت المادة 28 من الدستور على الحرية الدينية الكاملة: "لكل فرد حرية المعتقد وحرية ممارسة الشعائر الدينية، بما في ذلك الحق في اعتناق أي دين، فردياً أو جماعياً مع الآخرين، أو عدم اعتناق أي دين، واختيار المعتقدات الدينية وغيرها بحرية، والتصرف وفقاً لها"،¹ واستناداً إلى هذه الأحكام، يرفض المشرع أي محاولة لتدخل الدولة في تنظيم ونشاط الجمعيات الدينية، فقد أتاح تعديل الدستور عام 2020 للرئيس فلاديمير بوتين بفترات رئاسية إضافية غير محدودة، ومن بين التعديلات وجدت إشارات صريحة إلى حماية القيم الروحية والأخلاقية وقد نصت المادة 67، الفقرة 2 من الدستور الروسي على ما يلي: "الاتحاد الروسي، الذي يوحده تاريخ يمتد لألف عام ويحافظ على ذكرى الأسلاف الذين نقلوا إلينا المثل والإيمان بالله، فضلاً عن الاستمرارية في تطوير الدولة الروسية، يعترف بوحدة الدولة المبنية تاريخياً"،* وقد سبقه إعلان القيم لاتحاد دولتي روسيا وبيلاروسيا، الذي وقعته ممثلو حكومتي البلدين عام 2018، وتمثلت القيم الروحية والأخلاقية الواردة في تلك الوثيقة في الإيمان والحياة والحب والعدالة والتضامن والرحمة والكرامة والقوة والأمة والوطنية والحرية والمسؤولية والاعتدال والوحدة والخدمة والولاء والأسرة.²

رابعاً: مكانة الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في الحياة العامة

نقتصر هنا على هذه المنظمة الدينية لثلاثة أسباب:

- إنها أكبر منظمة دينية في روسيا.

¹ Marcin Skladanowski, Cezary Smuniewski, The Secularism of Putin's Russia and Patriarch Kirill's Church: The Russian Model of State-Church Relations and Its Social Reception, Secularism and Religious Traditions, 14(1), 14 January 2023, p01.

² Michail Antonov, God and "the Belief of Ancestors" in the Russian Constitution, October 31, 2020, at: <https://talkabout.iclrs.org/2020/10/31/god-and-the-belief-of-ancestors-in-the-russian-constitution/>

- لا تزال الأرثوذكسية تُصوّر في خطاب النخب السياسية الروسية كمكون أساسي للهوية الوطنية الروسية (السلافية).

- للكنيسة الأرثوذكسية الروسية دور سياسي. للتحقق من فرضية العلمانية العميقة في الحياة العامة الروسية، وإن كان بتعبير مختلف عن الغرب، كما عزز التعديل الدستوري الدور المركزي لبطيركية موسكو كأداة للقوة الناعمة للكرملين، وفي هذا الصدد أشار البطيريك كيريل Kirill: لم يعد الصراع بين الغرب وغيره، بل بين الليبراليين العلمانيين وأتباع القيم التقليدية¹ ولدعم الكرملين في مواجهة هذا التهديد الحضاري فقد كانت رؤيتها الخاصة لروسيا "كحارسة للتوازن العالمي، ليس فقط من الناحية الجيوسياسية، بل أيضاً... من الناحية الأخلاقية" ومن ثم دافعت الكنيسة الروسية باستمرار عن آراء الكرملين في كل تعديل من التعديلات الدستورية.

كما أكدت الكنيسة الروسية مراراً وتكراراً انشغال الكرملين بالتهديد الذي يُشكله "تزوير" التاريخ، ففي أواخر العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، اتهم رجال دين الكنيسة الحكومة الأوكرانية بتزوير التاريخ، مُحاكين بذلك أفعالاً مماثلة للكرملين، وانطلاقاً من هذه المهمة المشتركة، تعهدت وزارة الخارجية والكنيسة الروسية عام 2010 بمواصلة "جهودهما المشتركة لمكافحة التزوير التاريخي"².

نظرياً وقانونياً تفصل الكنيسة عن الدولة في روسيا، ولا يمكن لأي أيديولوجية أن تصبح أيديولوجية دولة تفرض على المواطنين، وهذا مُكرّس في المادتين 13 و 14 من دستور 2020 (دستور الاتحاد الروسي). كما تم الإشارة إليه سابقاً. وقد ورث هذا الحكم القانوني من الدساتير السوفيتية السابقة، ورغم تناقضه مع التقاليد الإمبراطورية الروسية - حيث كانت الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا جزءاً من هيكل الدولة منذ عهد

¹ Alicja Curanović, Russia's Mission in the World, PROBLEMS OF POST-COMMUNISM, (2019), 259, at: DOI: 10.1080/10758216.2018.1530940

²Robert C. Blitt, One New President, One New Patriarch, And A Generous Disregard for the Constitution: A Recipe for the Continuing Decline of Secular Russia, 43 VANDERBILT J. TRANSNAT'L L. P1363.

بطرس الأكبر حتى ثورة فبراير 1917 - إلا أنه لا يُثير تساؤلات جدية اليوم، ففي سياق الإصلاح الدستوري لعام 2020، عندما أُدرج ذكر الله في الدستور (المادة 67 الفقرة 2)، لم يتم إلغاء أو تعديل المعيار الذي يؤكد الطبيعة العلمانية للدولة، وفي الوقت نفسه، تشهد العديد من عناصر الممارسة العامة للدين على أهميته لدى سلطات الدولة وتمثل الكنيسة الروسية أداة لتنفيذ أهداف السياسة الاجتماعية للدولة خاصة في ظل ظروف الحرب الروسية الأوكرانية، مدعمة المجهود الحربي.

خامسا: الإسلام كجزء لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي:

على الرغم من أن المسيحيين الأرثوذكس يشكلون الأغلبية (68%)، إلا أن الإسلام هو ثاني أكبر ديانة في روسيا، حيث يبلغ عدد أتباعه حوالي 30 مليون نسمة، وبذلك يعيش في روسيا أكثر من 140 مليون نسمة من ثقافات وأديان متنوعة، وقد أشاد الرئيس فلاديمير بوتين في أحد خطابه قائلاً: "المسلمون جزء طبيعي وعضوي من المجتمع الروسي"، مما يعكس انفتاح الدولة المتزايد تجاه المجتمع المسلم وليسوا أعداء بل مساهمين في تحقيق الوئام، و تتجلى مظاهر العقيدة الأمنية الروحية في استضافة موسكو في الفترة من 7 إلى 10 ديسمبر 2022، المنتدى الإسلامي العالمي الثامن عشر، تحت عنوان "العدالة والاعتدال: المبادئ الإلهية للنظام العالمي" بحيث ويهدف المنتدى إلى تعزيز الحوار مع العالم الإسلامي، وقد تم تنظيمه بشكل مشترك من قبل المنتدى الإسلامي العالمي، والهيئة الدينية لمسلمي الاتحاد الروسي، ومعهد موسكو الإسلامي. وجاء ذلك في وقت حرج بالنسبة للمجتمع الإسلامي في روسيا الذي احتفلت هذا العام بالذكرى الـ 1100 لاعتماد الإسلام رسمياً في عام 922 من قبل شعوب فولغا بلغاريا، كما ساهمت المواجهة الحالية بين روسيا والغرب في أوكرانيا على تشكيل مواقفها تجاه الشرق وجعلت من المستحيل تجاهل سكانها المسلمين في بناء سياستها الخارجية وخاصة الدبلوماسية

الروحية التي يمارسها المفتيون الروس، و الهيئة الدينية لمسلمي الاتحاد الروسي (DUMRF).¹

يوجد أكثر من 60 مفتياً، يُعرفون باسم "الإدارات الروحية للمسلمين" (Dukhovnoe upravlenie musul'man، أو DUM)، ولا يقتصر تأثير هؤلاء المفتين على المستوى المحلي أو الإقليمي داخل روسيا، فمعظمهم تربطهم علاقات مع الدول الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي، وخاصة المملكة العربية السعودية، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى بعثات الحج والعمرة، كما تشمل المنظمات الإسلامية في روسيا المجلس الديني لمسلمي الاتحاد الروسي (DUMRF)، الذي تأسس عام 1996 في موسكو ويرأسه المفتي الشيخ راولي جينوتين، هناك أيضاً الإدارة الروحية المركزية لمسلمي روسيا (TsDUM)، ومقرها في أوتا ويرأسها الشيخ طلعت تاج الدين. بالإضافة إلى ذلك، هناك عدد قليل من الهيئات DUM على المستوى الجمهوري، بما في ذلك DUM لجمهورية تاتارستان، برئاسة المفتي كامل ساميجولين، ومن خلال المنتدى والأنشطة الأخرى يلعب DUMRF دوراً رائداً في تعزيز الحوار مع العالم الإسلامي ودول مجلس التعاون الخليجي.²

ما سبق يتضح ، أن عودة أهمية الدين في السياسة تنبع من الاغتراب الناجم عن جوانب الحياة الحديثة مثل الرأسمالية والبيروقراطية، وبالمثل، أثبتت نظريات النظم العالمية، بما في ذلك الماركسية، عدم كفايتها بسبب تركيزها على المادة و جوانب الحياة ويقترح "روبرت ووثنو" Robert Wuthnow أن هذه النظريات تخطئ لأنها لا تترك مجالاً للعناصر الكاريزمية والروحانية التي يبذلها منظرو الاختيار العقلاني جاهادين لخلق عالم يمكن التنبؤ به.³

¹ Diana Galeeva, Spiritual Diplomacy: Bolstering Russia's Religious Ties with the GCC, Dec 30, 2022 at: <https://www.interregional.com/article/Spiritual-Diplomacy/1887/En>

² Ibid.

³ Gregg Easterbrook, "Science and God: A Warming Trend?" **SCIENCE**, vol. 277, N0 5328, Aug.15, 1997, p. 891.

إن استخدام الدولة العامل الديني في السياسة الخارجية يعني تشكيلها آليات تعاون مع الجمعيات الدينية في السعي لتحقيق مصلحة وطنية محددة عمليا، واستخدام النشاط الدولي للمؤسسات الدينية، والأفكار والرموز الدينية التي يتم تفسيرها بشكل مناسب لتتوافق مع الأهداف السياسية والتي تستند على الدور النشط الذي يلعبه الزعماء الدينيون في السياسة.

وقد اجتمع مفتون وقادة المنظمات الدينية الإسلامية المركزية في روسيا في 28 أوت 2023 لحضور المؤتمر العلمي والعملية لعموم روسيا بعنوان "التحديات الحديثة للقيم التقليدية"، تم تنظيم المؤتمر من قبل منظمة "Mezhdunarodnaja Islamskaja Koordinacionnyj" (الرسالة الإسلامية العالمية) في موسكو بمشاركة مركز "Missija KCMSK" (مركز التنسيق لمسلمي شمال القوقاز) و "Fond podderzhki islamskoj kul'tury i obrazovanija". (مؤسسة دعم الثقافة الإسلامية والعلوم والتعليم).

حضر الحفل المفتون ورؤساء الدوائر الروحية المركزية والإقليمية لمسلمي روسيا، وممثلي الإدارة الرئاسية، ومجلس الدوما، والوكالة الفيدرالية للقوميات، وشخصيات عامة ودينية في روسيا، وخبراء، وضيوف أجنب، وأنهى زعماء وممثلو الأقسام الروحية لمسلمي روسيا الاتحادية المؤتمر باعتماد عدة وثائق ومنها¹:

الوثيقة الأولى، والتي تم تبنيها تمثلت في النداء الذي وجهه المفتون إلى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، والذي أعرب فيه زعماء المسلمين الروس عن دعمهم لرئيس الدولة في حماية القيم الروحية والأخلاقية التقليدية.

¹ North Caucasus 'Role In The Competition Between Russia And Ukraine Over The Islamic World September 8, 2023 MONITORING & ANALYSIS, CAUCASUS, KAVKAZ FILES ISSN 2975-0474, RUSSIA, UKRAINE At: <https://www.Specialeurasia.Com/2023/09/08/Islam-Russia-North-Caucasus>

الوثيقة الثانية، فكانت عبارة عن نداء موجه إلى زعماء المسلمين في البلدان الأخرى، أكد فيه الروس دعمهم لعملية عسكرية خاصة.

وأخيرا، نفذ قرار المؤتمر وخطة العمل التقريبية للمنظمات الإسلامية أساسيات سياسة الدولة في الحفاظ على القيم الروحية والأخلاقية التقليدية، والتي تمت الموافقة عليها بموجب مرسوم رئيس الاتحاد الروسي رقم 809 بتاريخ 9 نوفمبر 2022.

خاتمة:

يشكل الأمن الروحي الروسي عنصرا أساسيا من عناصر الأمن القومي، يهدف إلى حماية المصالح الوطنية من خلال ضمان استقرار وأمن الحياة الروحية والأيدولوجية لأفراد المجتمع، و ضمان تنمية القيم الروحية وحمايتها من التهديدات الداخلية والخارجية.

تتسم العلاقة بين الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والكنيسة الأرثوذكسية الروسية بشراكة استراتيجية وثيقة، بحيث دعمت الكنيسة سياسات بوتين، بما في ذلك غزو أوكرانيا، بينما يروج بوتين للقيم الأرثوذكسية كهوية وطنية، وقد أيدت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، بقيادة البطريرك كيريل، تحركات روسيا في أوكرانيا، بل وبررت الغزو بأنه صراع روحي من أجل مستقبل المسيحية متقدمة الغرب، فقد بلغ التقارب بين الكرملين وبطريركية موسكو ذروته منذ اندلاع الصراع في أوكرانيا، مما جعل الكنيسة داعما رئيسيا لخطاب بوتين السياسي.

كما أدت عقود من القمع خلال الحقبة الشيوعية إلى عزل المسلمين الروس، وخاصة جيل الشباب، حيث وجد الرئيس بوتين صعوبة في تجاهل المسلمين الذين يشكلون أكبر جالية مسلمة في أوروبا، كما أن الموارد الطبيعية الهائلة غير المستغلة في العالم الإسلامي (النفط والغابات والغاز) تشكل عاملا مهما في توطيد روسيا علاقتها بالمسلمين، وتسعى روسيا باستمرار إلى تعزيز نفوذها في العالم الإسلامي لمواجهة النفوذ الغربي. علاوة على ذلك، بدأت الولايات المتحدة في توطيد علاقات ودية مع دول مثل المملكة العربية

السعودية وعدد من جيرانها في الشرق الأوسط. ترى روسيا في الحفاظ على علاقات طيبة مع المسلمين وسيلةً لتقوية تحالفاتها الإستراتيجية والاقتصادية، ويتجلى لنا نجاح إستراتيجية الأمن الروحي لروسيا في امتناع منظمة التعاون الإسلامي عن التصويت أو اصدار بيان تنتقد فيه الحرب الروسية في أوكرانيا ، ولعل السبب في ذلك هو أن روسيا عضو في المنظمة بصفة مراقب منذ عام 2005 ورغم أنها مراقب فقط، إلا أنها نشطة للغاية، فمن خلال المنظمة، تحافظ روسيا، التي غالبا ما يمثلها قادتها أو شخصياتها المسلمة، على علاقات مع الدول الإسلامية نيابةً عن الدول الأعضاء.

فضلا عن ذلك ، يعتبر الزعيم الشيشاني رمضان قديروف، الموالي لبوتين ورئيس جمهورية الشيشان، وهي منطقة قوقازية تتمتع بحكم شبه ذاتي داخل الاتحاد الروسي، وهو أحد أبرز المشجعين للحرب في أوكرانيا، فقد أتاحت له الحرب الفرصة لرفع مكانته السياسية خارج الشيشان، وهو ما سمح له بتحريك طموحاته نحو موسكو، فمن مشاركته في التخطيط العسكري لغزو أوكرانيا عام 2022 إلى تجنيد كتائب "المتطوعين" في الشيشان إلى جانب روسيا .

قائمة المراجع

أ. الكتب

- Sergei Medvedev, Rethinking the National Interest: Putin's Turn in Russian Foreign Policy, August 2004, marshallcenter.org/en/publications/marshall-center-papers/rethinking-national-interest-putins-turn-russian-foreign-policy/rethinking-national-interest-putins-turn-russian
- Alicja Curanović , Russia's Religious Diplomacy , Russia/NIS Center, Paris 12 July 2008.
- P .Tsygankov, Mezhdunarodnye Otnoshenija: Teorii, Konflikty, Dvizhenija, Organizacii, Moscow Editors P. Tsygankov, G. Drobot, M. Lebedeva ,2008.

ب. المجلات

- S .Cherniavsky, The Caucasus Vector of Russian Diplomacy. Central Asia and the Caucasus: Journal of Social and Political Studies, No. 5, 2000 .
- BLITT ROBERT C,One New Pr One New President, One New President, One New Patriarch, and a Generous Disregard for the Constitution, Vanderbilt Law Review ,Volume 43,2010.
- Gregg Easterbrook, ""Science and God: A Warming Trend?" SCIENCE, vol. 277,N0 5328, Aug.15, 1997.
- LARUELLE Marlène,, “Russia at War and the Islamic World”, Russie.NEI.Visions, No. 127, Ifri, January 2023.
- Ratelle Jean-François, Ilyasov Marat: Between Putin’s Loyal Praetorian Guard and Devoted Servant of the Chechen People ,PONARS Eurasia Policy, Memo No. 869, December 2023.
- Ratelle Jean-François, The North Caucasus and the Russian War in Ukraine, PONARS Eurasia Policy Memo No. 802, October 2022.
- Thomas Gomas, La Russie,in Politique Etrangere,N029,2017.

ج . أبحاث على شبكة الانترنت

- Antonov Michail, God and “the Belief of Ancestors” in the Russian Constitution, October 31, 2020,in <https://talkabout.iclrs.org/2020/10/31/god-and-the-belief-of-ancestors-in-the-russian-constitution/>
- BLITT ROBERT C., RUSSIA’S “ORTHODOX” FOREIGN POLICY: THE GROWING INFLUENCE OF THE RUSSIAN ORTHODOX CHURCH IN SHAPING RUSSIA’S POLICIES ABROAD,in <https://www.law.upenn.edu/live/files/142-blittboyd33upajintl13632011pdf> ,Caucasians, <https://minorityrights.org/minorities/caucasians>
- Chechens pressured by Authorities to fight in Ukraine –Rights group,The Moscow Times, June 9, 2023,in

<https://www.themoscowtimes.com/2023/06/09/chechens-pressured-by-authorities-to-fight-in-ukraine-rights-group-a81451>

- Elkner Julie, Spiritual security in Putin's Russia, History and Policy, 01 January 2005, in <https://www.historyandpolicy.org/policy-papers/papers/spiritual-security-in-putins-russia>

- Freund Josephine, , The North Caucasus: The Caspian Neighbors to the North and their Complicated Role in Russia's War, Oct 20, 2022, in <https://www.caspianpolicy.org/research/security-and-politics-program-spp/the-north-caucasus-the-caspian-neighbors-to-the-north-and-their-complicated-role-in-russias-war>

- Galeeva Diana, Spiritual Diplomacy: Bolstering Russia's Religious Ties with the GCC <https://www.interregional.com/article/Spiritual-Diplomacy/1887/En>

- K.A Kurbanbayev, Omorkulov A.O , Interrelation of art and philosophy: philosophical analysis. ISJ Theoretical & Applied Science, 2018, So: <http://s-o-i.org/1.1/TAS-02-58-6> Doi: <https://dx.doi.org/10.15863/TAS.2018.02.58.6>

- Kemal Levant,, Russia-Ukraine war: Money and menace being used to recruit Muslims in the Caucasus, 13 October 2022 , in <https://www.middleeasteye.net/news/russia-ukraine-money-menace-recruit-muslims-caucasus>

- Markedonov Serge, A strategy for North Caucasus: don't mention politics or religion! 1 November 2010, in <https://www.opendemocracy.net/en/odr/strategy-for-north-caucasus-dont-mention-politics-or-religion>

- Muftiy Chechni nazval vtorzheniye v Ukrainu 'voynoy za proroka i islam (The Mufti of Chechnya called the invasion of Ukraine a 'war for the prophet and Islam), Kavkazr, February 28, 2022, <https://www.kavkazr.com/a/muftiy-chechni-nazval-vtorzhenie-v-ukrainu-voynoy-za-proroka-i-islam/31727640.html>

- North Caucasus' Role in the Competition Between Russia and Ukraine Over the Islamic World September 8, 2023 MONITORING & ANALYSIS, CAUCASUS, KAVKAZ FILES ISSN 2975-0474, RUSSIA, UKRAINE <https://www.specialeurasia.com/2023/09/08/islam-russia-north-caucasus>

- Putin's Plan To Restore Russia: The Disruptive Power Of Moscow, February 25, 2019,in <https://www.wbur.org/onpoint/2019/02/25/putins-plan-to-restore-russia-the-disruptive-power-of-moscow>
- Ratelle Jean François, Kadyrov Ramzan ,Chechnya's Political Stability Amid the War in Ukraine, 10-May-2023 ,in <https://jordanrussiacenter.org/news/ramzan-kadyrov-and-chechnyas-political-stability-amid-the-war-in-ukraine/>
- Stoecki Kristina, Russia's Spiritual Security Doctrine as a Challenge to European Comprehensive Security Approaches, Published online: 13 Dec 2022<https://doi.org/10.1080/15570274.2022.2139536>